

في وَزْنِ الشَّعْرِ وقافيته.

للأستاذ على النجدي ناصف

كثير الكلام في وزن الشعر وقافيته، وطال عليه الزمن؛ فريق يدعو اليهما، ويرى الحفاظ عليهما، وفريق ينكرهما ويرى التحلل منهما. ويبدو أن سيزيد الحديث عنهما كثرة، والزمن عليهما طولا، لأنه عند الأولين حديث عن عنصر من عناصر الشعر، بل عن مفهوم من حقيقته وكيانه، فيما ورثناه منه، وثبتت أصوله عليه. وهو عند الآخرين تخفف من ثقل، وتقدم إلى أمام.

وليس ينقطع الكلام عنهما، إلا يوم يتخلى أحد الفريقين عن رأيه، وينحاز في الأمر إلى صاحبه، أو بعبارة أدق يوم يؤمن بعض المجددين من الشعراء أن تجديد المأثور شيء، والانتقاص عليه ومحاولة مسخه شيء آخر. بل إن دعاة التمرد على القافية والوزن في الشعر ليسوا في واقع الأمر من المجددين، إنَّما المجددون حقاً هم الذين نهضوا بالشعر وحرروه من أثقال التقليد والتلفيق، وراضوا الآخرين أن يقولوا الشعر بالسنتهم لا بالسنة غيرهم، ويعبروا فيه عن خواطرهم وأحاسيسهم، لا عن خواطر الآخرين وأحاسيسهم؛ فإذا هو شعر ذاتي، تتمثل فيه شخصيات الشعراء كما فطرها الله، وتتجلى فيه خصائص نفوسهم في التلقي والانفعال والتصوير.

أما أصحابنا الحائدون عن جادة الشعر فنفر من الشبان المتعجلين، يريدون الشهرة الواسعة، والمقام الرفيع في عالم الشعر قبل الأوان، وبلا كدح كبير، ولا احتمال عناء طويل، كأن الذين ينافسونهم، ويريدون أن يكون لهم مثل ما لهم، قد أوتوا نصيبهم المرموق قضاء وقدرا، أو وصلوا إليه وثبا في طريق ممهدة ذلول.

ربما كان لأصحابنا هؤلاء نصيب من موهبة الشعر القادرة على الابتكار والتصوير، هبة من الله ونعمة، ولكن الموهبة وحدها لا تكفي في بلوغ منازل